النهار
٢٠٠١/٣/٢

الموت أمام الكاميرا

ذاك هو قدر المغامرات الاعلامية التي تنتهي. انها تستقطب في موتها اهتماماً اكبر مما حصدته في حياتها، او على الاقل في آخر حياتها. هكذا، نجح "تلفزيون لبنان" في لحظة احتجابه، في ما كان عجز عنه لسنوات. اثار الانفعال بعدما اعتاد بث الملل، واضفى مسحة من الحزن على حياة المجتمع اللبناني وصورته عن نفسه. لكن التلفزيون، وهو يموت، نسي قواعد مهنته، وقد فاته على الاخص ان الكاميرا آلة ذات حدين. فاذا كانت تنتج الوهم، فانها تنتهي احياناً الى فضحه، سواء أكان ذلك بقرار من مخرج مبدع، أم لان المشهد افلت من يديه، فعادت السليقة والعادات السيئة تتحكم بالممثلين وحتى بالمصورين.

لم يكن هناك من مخرج لينظم بصرياً نهاية "تلفزيون لبنان"، فمات مثلما يموت "الابطال" في الدراما التلفزيونية الرخيصة حين يغالي الممثلون في الانفعال والحركات فتغدو المناحة مصطنعة، لا يصدقها الا من هو بحاجة الى تصديقها. والحال ان تصديق الانفعالات الوجدانية التي رافقت قفل "تلفزيون لبنان" يلزمه اصطناع الكثير من السذاجة. فكيف يكون الجمهور اللبناني صادقاً في حزنه، بحسب ما ذهبت اليه الصحافة، حين لم تمر سوى اسابيع معدودة على صيحات الاستهجان التي علت بعدما فكّرت الحكومة في فرض رسم مقداره خمسة آلاف ليرة على فواتير الهاتف من اجل تمويل "تلفزيون لبنان"؟

اما القول ان المجتمع اللبناني يأسف لفقدان ذاكرته الجماعية، فهذا ما ينطوي على مقدار كبير من التعميم، حين يكون ثلثا اللبنانيين دون الثلاثين من عمرهم، اي ان ذاكرتهم الجماعية تغذّت من مشهد تلفزيوني مركّب لم يلعب فيه "تلفزيون لبنان" الدور الرئيسي. وحتى اذا وضعنا جانباً التمايز العمري، يبقى جلياً ان المجتمع احجم عن تبني هذه المؤسسة بصفتها ملكاً له، وصادق على الخلط المزمن بين العام والرسمي، تماشياً مع خلط اعمّ واخطر يقيم مرادفة بين الدولة التي ينسى الجميع انها ملكهم، والسلطة الراهنة التي تديرها.

وطبعاً، لا يمكن لوم المشاهد إنْ لم يقبل على برامج تلفزيون من التلفزيونات. لكن مشكلة "تلفزيون لبنان" لم تكن تكمن في عدم الاقبال الجماهيري، اذ يذكر انه عاد الى المركز الثاني في عهد فؤاد نعيم، وكان يستطيع ان يطمح بثقة الى استعادة المركز الاول، دون ان يحلّ له ذلك ازمته المالية - البيروقراطية - السياسية. على العكس، كانت هذه الازمة من الحدة بمكان انها محت كل النجاحات قبل ان تغلّب الملل على الشاشة فتدفعها الى قعر الهاوية.

واذا كانت السلطة السياسية هي التي تُسأل عن هذه الازمة، فان المجتمع لم يبال، على ما بدا، مما كان يُعمل ب"الذاكرة الجماعية"، ورضخ دون اعتراض لمنطق الطبقة السياسية - العسكرية التي تعاملت مع "تلفزيون لبنان" على انه غنيمة وبوق. فلم نسمع مثلا ان جمعية تأسست لدعم التلفزيون، او للاحتجاج ضد الاعتداءات التي كانت تمارسها نشرات الاخبار ضد ذكاء المشاهد، وخصوصاً بعدما تجيّشت وزارات التوجيه لبناء المواطن الصالح. وما يسري على لامبالاة الجمهور يجب مضاعفته عشرات المرات عندما يأتي الحديث الى المعنيين مباشرة بقفل "تلفزيون لبنان"، وهم

النهار
٢٠٠١/٣/٢

الموظفون. لا شك في انهم كأفراد كانوا صادقين في انفعالهم قبل امس، ولا شك ايضاً ان بعضهم يستحق الثناء.

ولكن، اذا اخذنا الموظفين كجسم جماعي، كيف نصدّق الخطاب الدرامي الذي ساد في اليوم الاخير، عندما لم يصل منهم يوماً موقف علني في غير المطالب المادية و"الحقوق المكتسبة"؟ وما دام الكلام دارجاً عن "الذاكرة الجماعية"، فأقل ما يقال انها لم تحفظ اثراً لتمرد من الموظفين او حتى اعتراض، في وجه التحزب الذي فرضته الحكومات المتعاقبة ومراكز القوى الداعمة لها، ولا تشهد لاختبار تضامني واحد مع زملاء كان يطاولهم المنع السياسي من هذه الحكومة او تلك. كما ان سجل تجارب الاصلاح التي خيضت لانقاذ "تلفزيون لبنان"، لا يكشف التزاماً واضحاً من جسم الموظفين.

او لنقل ان لا الجمهور ولا المبادرين الى هذه التجارب تنبّهوا الى وجود زخم جماعي في اتجاه الاصلاح. وإنْ وجد مثل هذا الزخم، فان الهيئة النقابية للموظفين تفننت في اخفائه، محجمةً عن المساهمة في بلورة اي "مشروع صناعي" للمؤسسة. وقد بلغ موقف التلقّي الساكن حداً انه، حتى بعد القرار المبدئي للحكومة في شأن "تلفزيون لبنان"، لم يصدر اي رد فعل مهني من المعنيين. ولم يظهر تحرك الا في الايام الاخيرة قبل القفل، حين عرضت مجموعة من الموظفين الاستمرار في العمل من دون راتب كي لا تغيب الشاشة، وحين تحولت البرامج المباشرة نوعاً من الاعتصام الاحتجاجي.

كفى، اذاً، من دموع التماسيح. نعم، يستحق موظفو "تلفزيون لبنان" اهتمام الجماعة الوطنية، اقله لانهم كانوا موظفين عندها، وان لم يدروا ولا دَرَتْ هي. لكن الاقرار بحقوقهم، وإن مضخمة بفعل العقد الجماعي، والاصرار على نيلهم هذه الحقوق شيء واعتبار قرار الحكومة جائراً شيء آخر. ف "تلفزيون لبنان" ليس ضحية قرار بالاعدام، وليس موته المعلن الا محصلة مرض متفاقم غذته الحكومات المتعاقبة وكل من نجح في الضغط عليها. اما الذاكرة الجماعية، فقد تجد عزاءً في مشهد نادر ستدين به الى "تلفزيون لبنان"، وإن على حسابه. انه مشهد وزير للاعلام يظهر حزماً لم نرَ مثله في الحياة الحكومية اللبنانية منذ زمن.

وعلى امل ان تحفظ الذاكرة نفسها عن قريب مشهداً لا يقل ندرة ستدين به ايضاً لتلفزيون لبنان، وهذه المرة لمصلحته، مشهد وزير للاعلام يبرهن عن رؤية لم نعد نعهدها. ولعل ذلك هو الامتحان الاصعب لغازي العريضي وسط هذه الطبقة السياسية - العسكرية التي تكره النجاح: ان يبقى رجل اعلام بعدما اثبت، وبأي جدارة، انه رجل دولة.

سمير قصير

النهار
٢٠٠١/٣/٢

Id-Reference	**01-Pr-000446**	
Media	**(Support)**	HC
Title		الموت امام الكاميرا
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠١/٣/٢ 2/3/2001
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	فؤاد.نعيم – غازي.عريضي
	Locations	لبنان
	Dates	
	Themes	لبنان – تلفزيون.لبنان – نشرات.أخبار – غازي.عريضي – احتجاجه – وفاته – قواعد.مهنة – قفل.تلفزيون.لبنان – ذاكرة.جماعية – تجارب.اصلاح – طبقة.سياسية.عسكرية – وزير.اعلام – رجل.دولة
Subject		